الفصل الثالث

خليل البديري
مناضل وطني ديمقراطي نموذجي

إلهام أحمد الشريف

كما تزخر مدينة القدس الشريفة بالآثار والمقدسات، فهي تزخر، أيضًا، بالرجال العظماء، المخلصين، الذين وهبوا حياتهم وأرواحهم في سبيل تحرير وطنهم، ونصرته. رجال لا تفخر بهم بلادهم فحسب، وإنما تفخر بهم أمتهم العربية كلها. ومن هؤلاء الرجال الذين عاشوا حياتهم حاملين هموم الوطن، باذلين الجهد والوقت في سبيله، الدكتور خليل البديري.

ولد البديري في مدينة القدس، أواخر عام ١٩٠٦م/ ٢٤ رمضان ١٣٣٢هـ وكان أبوه، الشيخ موسى، شيخًا، وعالمًا، شديد الإيمان، والتمسك بالإسلام، وتعاليمه، وأيضًا، شديد التسامح. وقد أثرت هذه البيئة في تكوين شخصية الدكتور خليل البديري منذ نعومة أظفاره. كما أثر في تكوين شخصية البديري، أيضًا، عامل هام آخر؛ فقد ولد قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى[1] بحوالي ثمانية أعوام، فنشأ كارها للحروب، وويلاتها، خاصة بعد تكشف نوايا الحلفاء في تقسيم الوطن العربي، فيما يسمى باتفاقية سايكس ـ بيكو (١٩١٦). وقد زاد من كراهية البديري لهؤلاء الحلفاء صدور «وعد بلفور» (٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٧)، الذي قضى باستقطاع جزء هام من بلادنا، ومنحه للصهاينة، لإنشاء وطنهم القومي عليه، في فلسطين، وبذلك يتم تقسيم بلادنا العربية إلى قسمين، يتوسطهما كيان استعماري غريب، لتحقيق مصالح الحلفاء، وأطماعهم.

كان خليل البديري يتابع، وهو طفل صغير، الأحداث من حوله، ويتفاعل معها، فقد شعر بالابتهاج حينما أعلن شريف مكة، حسين بن علي، الثورة على العثمانيين في ١٩١٦، لتقرير العرب مصيرهم، وإقامة دولة عربية مستقلة، بالرغم من تخوفه من غدر الحلفاء. وفي ٩ ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٧، دخلت القوات البريطانية إلى القدس، وتعرض الشيخ موسى البديري إلى مضايقات، جعلته يفكر في الهجرة، وكذلك ابن أخيه، كامل البديري، الذي

رفض التعامل مع الإنجليز، فتم اعتقاله ونفيه إلى الزقازيق بمصر، وبعد عودته انضم في الحركة الوطنية الفلسطينية، مصطحبًا ابن عمه خليل البديري في جميع تنقلاته.

شهدت سنوات ١٩١٨ إلى ١٩٢٢ اتساع، ونمو الحركة الوطنية الفلسطينية في جميع البلاد، حيث تم تشكيل الجمعيات الإسلامية، والإسلامية ـ المسيحية، والنوادي، ومنها النادي العربي في القدس، وكان خليل البديري من الملازمين لهذا النادي، الذي عمل على تنمية الوعي القومي، والتوعية بالمخاطر التي تهدد العرب جميعًا، فضلًا على الحث على مقاومة الاحتلال، والانتداب، والهجرة اليهودية، وكان من بين المشرفين على هذا النادي: الحاج أمين الحسيني، وكامل البديري. وقد تم دعم هذا النادي من قبل الحركة الوطنية السورية، في دمشق، بزعامة الأمير فيصل بن الحسين، والذي كان بدوره مدعوما من الإنجليز، وقد أصدرت الحركة الوطنية عددا من الجرائد، التي حثت على الجهاد، والمقاومة، مثل صحيفة «سوريا الجنوبية»، والتي ترأس تحريرها كلٌ من عارف العارف، ومحمد حسن البدري[٢].

في مطلع عام ١٩٢٠، اندلعت مظاهرة جماهيرية عظيمة لرفض الانتداب، و«وعد بلفور» بالإضافة إلى رفض فصل فلسطين عن سوريا، وكان خليل البديري أحد أولئك المتظاهرين، وأحد خطباء المظاهرة، أيضًا، وقد ألقى في ذلك الوقت خطبة نددت بالاحتلال، وتجزئة البلاد العربية، وغدر الحلفاء، و«وعد بلفور»، مستثيرًا الحماسة في نفوس الناس من أجل التمسك بالمقاومة، وبالوطن، دون أن ينتقص منه شيئًا. كما شارك البديري في مظاهرة أخرى، في مارس/ آذار من العام نفسه، وبعد إعلان استقلال سوريا، ابتهاجًا بهذا القرار، مع إلقاء الخطابات الحماسية نفسها، وفي المرتين السابقتين تم اعتقال بعض المتظاهرين، ولصغر سنه لم يعتقل البديري[٣].

للمرة الثالثة، وفي أوائل أبريل/ نيسان ١٩٢٠، ألقى خليل البديري خطابًا في مظاهرة عارمة، في احتفالات موسم النبي موسى، محذرًا من أخطار الهجرة اليهودية، حاثًا الجماهير على التمسك بحرية البلاد، وقد وقع في هذه المظاهرة عدد من القتلى والجرحى، كما تم اعتقال عدد من الخطباء. وقد أدى ذلك إلى محاولة العرب تسليح أنفسهم، بدافع الحماية. وانتشرت المظاهرات لتعم جميع المدن الفلسطينية، واعتقد الإنجليز بأن ذلك يحدث بتدبير من سوريا، وكان، في الحقيقة، إعدادًا لقيام ثورة مسلحة، لتخليص البلاد من الإنجليز، واليهود في آنٍ، وكان يدبر لذلك بعض الرجال الوطنيين، مثل أحمد مريود، وكامل البديري.

تنبه الإنجليز إلى خطورة بعض رجال المقاومة، فرأوا بأن يقلدوهم مناصب هامة، حتى ينشغلوا بها عن الجهاد، وبالفعل فقد حدث ذلك، كما أرادوا، ومن أمثال هؤلاء عارف العارف، وأمين الحسيني وغيرهم.

أسهم خليل البديري في تحرير صحيفة «الصباح»، الناطقة باسم «اللجنة التنفيذية العربية»، برئاسة موسى كاظم الحسيني، المقال من نيابة بلدية القدس، وقام خليل البديري بكتابة بعض المقالات التي تم نشرها في هذه الصحيفة[٤].

سافر البديري إلى ألمانيا في أبريل/ نيسان ١٩٢٢ لإكمال تعليمه، ودراسة الطب هناك، حيث كانت ألمانيا، في ذلك الوقت، تعاني من آثار الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ـ١٩١٨)، وكان الغرباء هناك يعيشون في رخاء، في الوقت الذي كان فيه أهل البلد يعانون من الفقر المدقع، وهذا جعلهم يشعرون بالكراهية للأجانب.

في ذلك الوقت كانت في ألمانيا فئة تميل إلى المهادنة مع الحلفاء، وأخرى تدعو إلى الانتقام، وكانت هذه الفئة تنظم المظاهرات، التي كان البديري يشارك فيها، نكاية في الحلفاء، لما يفعلونه بالأقطار العربية. وكان يتابع أخبار الحركة الوطنية، من ابن عمه، كامل، وكتب مقالا من هناك أرسله إلى جريدة «الصباح» عندما أقرت «عصبة الأمم» «صك الانتداب»، لنشره فيها، يدين ذلك.

عاد البديري إلى القدس في ٥ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٣، لظروف صحية، وعلم بتوقف جريدة «الصباح» واختفاء ابن عمه كامل البديري، الذي قيل بأنه قتل، بتواطؤ بين حاكم عربي مع الإنجليز. وبقي البديري في أريحا حتى ١٩٢٤، والتقى في تلك الأثناء بالعديد من الشخصيات الوطنية، وكتب مقالا في جريدة «لسان العرب» عن «الإمام علي» كرَّم الله وجهه، ترد على محاضرة للأستاذ بندلي الجوزي، كان ألقاها في جمعية «الشبان المسيحية» عن «الحركات الفكرية في الإسلام»، وذلك في ٣١ أغسطس/ آب ١٩٢٤، وبعدها، وفي ٢٥ سبتمبر/ أيلول من العام نفسه، ذهب البديرى إلى مصر لإكمال دراسته في الجامعة الأمريكية. وهناك تعرَّف على العديد من الطلبة المصريين، ذوي انتماءات فكرية مختلفة، وكان البديري ممن يؤيد السلفيين، ويرى دعاة التجديد إنما هم انهزاميون، مستسلمون.

اهتم البديري بالثورة السورية الكبرى[٥]، والثورة الريفية[٦] في المغرب، وكتب مقالًا في جريدة «اللواء المصري» لمناصرتهما. وكان يهتم، أيضًا، بأي حركة ثورية في العالم بأسره، وليس في العالم العربي فحسب.

بعد تخرجه في الجامعة الأمريكية في القاهرة، سافر البديري، أواخر ١٩٢٥، إلى سويسرا لدراسة الطب، حيث حصل على شهادة الدكتوراه من جنيف، وعمل هناك في مستشفى العيون فترة قصيرة بعد تخرجه، انتقل بعدها إلى لندن ليتخصص في طب وجراحة العيون، في أواخر ١٩٢٩. ودأب البديري على متابعة أخبار الثورات العربية، وغير العربية، في تلك الفترة من خلال الجرائد. وبالمصادفة وقعت أمام عينيه جريدة تعد الوحيدة التي كانت تهاجم الاستعمار، وتندد به، وتفضح جرائمه، وهي جريدة «لومانتيه» وتعني الإنسانية، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد وجد بها تعاليم ديننا السمح الحنيف. وكان هذا أول احتكاك بين البديري وبين الشيوعية والاشتراكية، وبدأ منذ ذلك الحين في الاطلاع على الكتب الخاصة بهذا المذهب، فضلًا على حضور اجتماعات يعقدها مفكرون أحرار، شيوعيون ، أو اشتراكيون، وهناك تعرف على سيدتين، إحداهما فرنسية، والأخرى إنجليزية، تهتمان بالثورة الريفية بالمغرب. وقد أخبرته السيدة الفرنسية بوجود عصبة لمقاومة الاستعمار ومن أجل الاستقلال الوطني، ستعقد مؤتمرًا عالميًا في ألمانيا، في أواخر يوليو/ تموز ١٩٢٩ وقرر الاشتراك فيها، لفضح ممارسات الاستعمار الإنجليزي، والصهيوني في فلسطين والدول العربية. وكممثل للحركة الوطنية الفلسطينية، لإيضاح موقفها.

ألقى البديري خطابًا في إحدى جلسات المؤتمر بالفرنسية، شرح فيه حقيقة الاستعمار، والهدف من إصدار «وعد بلفور»، مع توضيح المعاناة التي يعيشها العرب تحت نير الاستعمار، مطالبًا رئيس حزب العمال المستقل في بريطانيا باتخاذ موقف تجاه ما يجري، مؤكدًا على إصرار جميع العرب الأشقاء على مواصلة الكفاح ضد الاستعمار، سياسيًا كان، أو اقتصاديا، حتى تحقيق النصر، والاستقلال.

أثناء إقامة البديري في جنيف، حاول اليهود الاستيلاء على حائط البراق، وحدث، نتيجة لذلك، هبة ضد حكومة الانتداب، والهجرة اليهودية، سقط خلالها العديد من الجرحى، والقتلى، من كلا الجانبين. وقام البديري بكتابة مقال،

تم نشره في جريدة «العمل»، في ٤ سبتمبر/ أيلول ١٩٢٩، موضحًا حقيقة الأمر، حيث حاول الإنجليز تصوير ما جرى على أنه مذبحة لليهود، وسرد البديري الوقائع، منذ دخول الإنجليز إلى فلسطين والبلاد العربية عمومًا، «لتخليصها من الأتراك» ثم تكشفت نواياهم، بعد عقد الصلح، وإصدارهم «وعد بلفور»، القاضي بإقامة الدولة الصهيونية، فضلًا على تقسيم الدول العربية، وزرع الكيان الصهيوني، لكي لا يقوم بينها اتحاد، يؤثر على سيطرة بريطانيا على الهند، مدللًا على أن ما حدث لم يكن ضد السامية، فقد كان اليهود يجدون عند الدول العربية ملجأ لهم، عندما كانوا يضطهدون في أوروبا[٧].

أصدر البديري بعض النشرات، والكراسات لشرح القضية الفلسطينية، وأنها ليست تعصبية، أو ناتجة عن كراهية «الأغيار»، أو الأجانب، ولكنها حركة تحررية. وذلك بعد اتصاله بالفرع البريطاني «لعصبة مقاومة الاستعمار ومن أجل الاستقلال الوطني»، حيث كان من أعضاء اللجنة التنفيذية، كاتب سياسي، شيوعي شهير، يصدر مجلة «ليبر منثلي»، ويدعى «بالم دات».

التقى البديري ببعض الإنجليز، ممن اعتنقوا الإسلام، منهم رئيس جمعية تهتم بدراسة الإسلام، والمسلمين، لورد هيدلي، الذي طلب من البديري إلقاء محاضرة عن المرأة في الإسلام أمام جمعية نسائية، ففعل ذلك، موضحًا أن ما منحه الدين الإسلامي للمرأة من حقوق لم تكن ممنوحة لنساء الغرب، آنذاك، أردف البديري بأن الإسلام يحض على الخير، والتسامح، وأن ما يبدر عن بعض المسلمين إنما هو من أنفسهم، وليس من تعاليم الإسلام السمحة، كالتخلف، والرجعية، مثلًا، وقد كان حريصًا في علاقته بهؤلاء المسلمين الإنجليز، بحيث يتعاون معهم لكسب تأييدهم، دون أن يكون لهم أثر في تغيير طريقه، أو استغلاله لخدمة أطماعهم، فهو لا يعرف عنهم إلا الظاهر فحسب.

حضر إلى لندن الوفد الفلسطيني الرابع، بعد هبة ١٩٢٩، لمفاوضة الحكومة البريطانية، حول القضية الفلسطينية، طالبا وقف هجرة اليهود، ومنع انتقال الأراضي لهم، وكذا تأسيس حكومة نيابية وطنية، وهو ما أقره المؤتمر العربي الفلسطيني السابع، وإن أغفل الوفد المطالبة بالاستقلال، والوحدة العربية، كما تغافل عن «وعد بلفور». ومع ذلك رفضت الحكومة البريطانية. وخشية حدوث هبة ويقظة عربية، أصدرت وزارة المستعمرات بيانًا بتخفيض الهجرة، ومنح الفلسطينيين درجة من الحكم الذاتي، ووضع قيود على انتقال الأراضي لليهود. ما لبثت أن سحبته بعد شهر.

أثناء «مؤتمر الطاولة المستديرة»، الذي عقد في لندن، في الثلاثينيات، لبحث مشكلة الهند، فكر البديري في إرسال مذكرة إلى محمد علي، وشوكت علي، من ممثلي مسلمي الهند، لطرح قضية فلسطين، وتوضيح الخطر الذي يحيق بالمقدسات الإسلامية، والمسلمين في فلسطين، وفي تلك الأثناء حضر مبعوث من إدارة المعارف في فلسطين، هو رفيق التميمي، حاملًا مذكرة للغرض ذاته، غير موقعة منه، لكونه موظفًا حكوميًّا. وقام البديري هو بتوقيعها، وجمع توقيعات عليها.

عاد البديري إلى القدس في أوائل ١٩٣٢، وعمل بمستشفى العيون الإنجليزي بالقدس لمدة عام بدون أجر لاكتساب الخبرة، بعدها طلبت منه إدارة المستشفى أن يتعاقد معها، حتى يكون تحت إدارتها دائمًا، وحرصًا، أيضًا، منها على عدم استقلال البلاد، اقتصاديًّا، وطبيًّا، وثقافيًّا، وسياسيًّا. ونتيجة لانتشار مرض العيون، آنذاك، فقد تم إنشاء وحدة متنقلة، تابعة للمستشفى الإنجليزي، دعي البديري للعمل فيها، مما أتاح له أن يلتقي بالمعلمين، والموظفين والشباب العربي الفلسطيني، والتحدث إليهم عن الحركات التحررية في بلادنا العربية، ومتابعة المجلات،

ومنها مجلة «الدهور» اللبنانية، والتي كانت تعمل على نشر الفكر الماركسي والاشتراكي، ومن هنا تشكلت نواة حركة وطنية استقلالية، في أوساط المعلمين، والطلبة، وتشكيل حزب «الاستقلال العربي». وانتشرت المقالات الداعية إلى محاربة الإنجليز، والصهاينة، في آنٍ.

التحول إلى المرحلة الثانية في الحركة الوطنية

اشتدت المظاهرات في الفترة ما بين ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥ نتيجة لازدياد الوعي، وعرفت الحركة الوطنية طريقها الصحيح، كما انتشرت العصابات التي نتجت عن الفقر، والبطالة، والتي أرعبت الاحتلال، وفي تلك الأثناء تواجد ثلاثة من اللبنانيين في القدس، هم: سليم خياطة، محرر جريدة «الدهور»، ورئيف خوري، الأديب، ورجا حوراني، المدرس. وتم الاتفاق بينهم وبين البديري على إعادة إصدار مجلة «الدهور» باسم «الطليعة»، ودعمها، وجمع التبرعات لها، وذلك عن طريق بعض الأصدقاء في دمشق. وكتب فيها البديري، واستمرت في الصدور حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، خريف ١٩٣٩، ومنعت بعد ذلك، بعد أن أدت دورًا كبيرًا في نشر الوعي القومي، والأفكار التقدمية بين كثير من الفقراء.

اشترك البديري وآخرون في تكوين رابطة أسموها «عصبة القلم» ومن مؤسسيها عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، وحنا سويدة، وكانت لذات الهدف السابق: «نشر الوعي، والأفكار التقدمية». وتم الاتفاق من خلال هذه العصبة مع جريدة «الدفاع» على تخصيص صفحة أسبوعية لهم. وكتب فيها البديري، فاضحًا الفاشستية، حيث كانت تستهوي الكثير من الشباب. ثم كتب مقالًا آخر في ٢٧ يناير/ كانون الثاني ١٩٣٦ بعنوان «سبيل التحرر»، لمعالجة قضية التحرر، والتخلص من الاحتلال، والانتداب. حيث كان هناك فريقان في الحركة الوطنية، أحدهما يطالب بالكفاح، والآخر يقول بالتعامل مع الاحتلال لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منه، فالبلاد غير قادرة على مواجهة العدو. وضرب البديري المثل بمصر، وسوريا، مبينًا مدى خطأ سياسة الفريق الثاني، التي لا تحقق أهدافًا مرجوة. كما قام البديري بإلقاء محاضرة بعنوان «أمراضنا الوهمية» في جمعية الشبان المسلمين بيافا، نشرت في جريدة «اللواء» في ٢٥/ ٢/ ١٩٣٦، لبث روح المقاومة، والنضال لصد الاحتلال، رائيًا أنه ينقصنا الإيمان، والثقة في النفس، والاعتماد عليها. فنحن، دائمًا، نهول الصعاب، ونرى في العدو قوة لا نستطيع مقاومتها، وهذا قلب للحقيقة، إنما ينقصنا تنظيم صفوفنا وتوحيدها فحسب. والحق قوة تفوق قوة العدة، والعتاد، والعدد. والتاريخ يؤكد ذلك، كما في حرب العرب مع الرومان، والفرس، وغيرهم.

نشطت في الفترة ذاتها حركة تأسيس الجمعيات العمالية لصد هجمات العمال اليهود، وأدى ذلك إلى صدامات بين العمال العرب، واليهود. كما تم تشكيل ائتلاف فيما بين الأحزاب التي كانت موجودة، في ذلك الوقت، وقام ذلك الائتلاف بتقديم مذكرة للمندوب السامي البريطاني في القدس، لحكومة الانتداب، بها حد أدنى من المطالب الوطنية، لاقى مماطلة بقصد التهدئة، أتبعه رفض قاطع لتلك المطالب.

كان هذا الائتلاف حذر بريطانيا من مغبة تجدد حركات ثورية في فلسطين، على غرار حركة القسام[٨]! وبعدها بأعوام اندلعت ثورة ١٩٣٦ الوطنية، نتيجة لمماطلة الحكومة البريطانية، ورفضها لمطالب الشعب العربي، صدر أول بيان يطالب «اللجنة العربية العليا» بالامتناع عن دفع الضرائب، والعصيان المدني وعدم التعاون. وقد أصدر هذا

البيان، ووقع عليه ستة أشخاص من بينهم «البديري»، تلا هذا البيان بيانات أخرى، موقعة من المئات من أفراد الشعب.

استمرت محاولات حكومة الانتداب في خداع الفلسطينيين، الذين لم يقتنعوا بما يحدث، ونظموا الإضرابات، وأصبح الشعب هو الذي يحث الزعماء، ويدفعهم إلى المقاومة، فتم اعتقال الآلاف، فضلًا على عمليات القتل، والحرق، والتخريب، وقد نشر البديري، مع مجموعة كبيرة، نداء إلى الأمة العربية، بعنوان «لا ضرائب بلا تمثيل»، فتم اعتقاله ضمن آلاف المعتقلين، وكان قبل ذلك قد فرضت عليه الإقامة الجبرية في القدس لمدة سنة.

استمر الإضراب أكثر من ستة أشهر، فغدا أطول إضراب سياسي في التاريخ الإنساني، مما وضع الحكومة في ورطة، لم تستطع أن تفعل شيئا حيالها سوى أن تلجأ إلى الحكام، والأمراء، والملوك، والزعماء العرب، الذين لبوا النداء على الفور، مطالبين بإنهاء الإضراب دون وعد، أو شرط، تابع ذلك إعلان بريطانيا بأنها لا ترى سببًا لإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولو بصفة مؤقتة، ناهيك عن حشد أكثر من ثلاثين ألف جندي مجهزين، ومدربين لكسر الثورة، والقضاء عليها، و استمر مسلسل الاعتقالات، واعتقل فيه، أيضًا، البديري، لتحريض الأفراد القلائل ممن لم يهتموا بالإضراب، وإقناعهم به. وكان ذلك في منتصف يونيو/ حزيران ١٩٣٧.

بعد إنهاء الإضراب، وصلت اللجنة الملكية البريطانية (لجنة بيل)، التي أوصت بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وإنهاء الانتداب، مما أثار احتجاجًا، وسخطا بين العرب، ومسلمي الهند، واعتصم بعض الثوار في القدس لمنع دخول الإنجليز. حيث وضعت الأماكن المقدسة تحت إشراف الانتداب للمحافظة على قدسيتها، وضمان حرية الوصول إليها[٩].

في عام ١٩٣٨، ذهب البديري إلى العراق لحضور مؤتمر الأطباء العرب، والتقى هناك ببعض الشخصيات الوطنية، وأدرك الجميع بأنه لا بد للخلاص لجميع الأقطار العربية من تضافر الجهود العربية في الأقطار المختلفة. وفي العام نفسه، أدركت بريطانيا استحالة التقسيم في ظل الظروف الراهنة، داعية إلى عقد مؤتمر عربي ـ إنجليزي ـ يهودي، انعقد فعلًا في لندن، في فبراير/ شباط ١٩٣٩، لكنه أخفق في التوصل إلى أي تسوية.

في مايو/ آيار ١٩٣٦، أصدرت الحكومة الإنجليزية الكتاب الأبيض، والقاضي بربط إنهاء الانتداب بعد اتفاق العرب واليهود معًا، وهو الأمر المستحيل، كما نشطت حركة طلابية حماسية واعية، أسست «رابطة الطلبة العرب»، طالبت بالعمل الجماعي، لا المصالح الفردية فحسب، واهتمت بالريف والأمية، وقد انبثق عنها «رابطة المثقفين العرب» في ١٩٤٥، وكانت الحركة الطلابية قد أصدرت مجلة «الغد»، أسهم في تحريرها العديد منهم، بينهم البديري نفسه، وقد استمرت المجلة حتى أواخر ١٩٤٧. وفي ١٩٤٥ تم نشر مقالة «رسالة الطب» للدكتور خليل البديري، والتي كان قد ألقاها كمحاضرة، في العام نفسه، في الجمعية الطبية الفلسطينية العربية[١٠].

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، تمنى «البديري» في بداياتها انتشار الثورات على الأنظمة التي أدت إلى إزهاق الأرواح، ونشر الخراب، لكن سرعان ما أيقن بهزيمة ألمانيا، عندما قامت بالعدوان على الاتحاد السوفييتي، فالغلبة، دائمًا، للحق، وقد كان. وكان «البديري» يتمنى، أيضًا، انتصار الثورات الاشتراكية في أوروبا كلها، وهو ما لم يتحقق بالكامل.

استاء الصهاينة من قرار بريطانيا القاضي بأن يكون عدد اليهود الذين يتم ترحيلهم إلى فلسطين ٧٥ ألفًا، وبدأوا في مضاعفة أعداد المهاجرين الصهاينة، هجرة منها السرية، بزعم حمايتهم من النازية، وعملوا على تهريب السلاح، وطالبوا الحكومة البريطانية بتدريب فرق يهودية في الجيش. فضلًا على آخرين يتدربون في فلسطين، وإنشاء مصانع سرية للأسلحة. مما دعا الحكومة البريطانية إلى اعتقال عدد من الزعماء الصهاينة.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإنهاك بريطانيا فيها، حاولت الولايات المتحدة أن تحل محلها؛ لذا رأت بريطانيا الاستعانة بالولايات المتحدة في النفقات، والأعباء، فتم تشكيل «اللجنة الأنجلو ـ أمريكية»، والتي وصلت القدس في بداية ١٩٤٦، واقترح جمال الحسيني تشكيل لجنة عليا، تضم رؤساء الأحزاب العربية الخمسة (حزب الدفاع، وحزب الإصلاح، وحزب مؤتمر الشباب، وحزب الكتلة الوطنية، وحزب الاستقلال)، بالإضافة إلى الحزب العربي، ورأى الحسيني ضرورة إدخال عناصر جديدة في تلك اللجنة، حتى لا يكون هناك جمود. واقترح عشرة أسماء منهم «البديري». ودعا الحسيني جميع الأعضاء إلى اجتماع، يتم عقده في مقر «الحزب العربي»، الذي يرأسه، في الساعة العاشرة يوم ٢٧ مارس/ آذار ١٩٤٦، لانتخاب ممثلي فلسطين في جامعة الدول العربية، المنعقدة في القاهرة، والتي قد بدأ تكوينها في ١٩٤٣، باتفاق بين نوري السعيد، والإنجليز، فيما يسمى «مشروع الهلال الخصيب»، ووضع فلسطين، وسوريا، ولبنان كدولة واحدة، مع ضم العراق، وباقي الدول العربية فيما بعد، وكانت بريطانيا تريد ركوب موجة الوحدة العربية، لتحقيق أغراضها الخاصة في مواجهة «المعسكر الاشتراكي»، وللتصدي للمزاحمة الأمريكية، بعد أن لم تعد الإدارة الأمريكية تخفي رغبتها في الحلول محل بريطانيا، وفرنسا في مستعمراتهما.

تم الاعتراض على استئثار جمال الحسيني بالتعديلات من قبل جبهة الأحزاب، و«عصبة التحرر الوطني»، و«رابطة المثقفين العرب»، و«الجبهة العربية بيافا». ونشر البديري مقالًا في جريدة «فلسطين» بتاريخ ٣٠ مارس/ آذار ١٩٤٦، لشرح رأيه فيما حدث، موضحًا بأن ما دعا الحسيني إلى التعديلات السابقة هو حرصه على وطنه، ما يجب أن يكون موضع تقدير، غير ناكر حق الشعب في اختيار ممثليه. وخطورة تحمل الحسيني هذه المسؤولية الخطيرة بمفرده، وأنه، حرصا على تماسك تنظيمات النضال، يجب على الحسيني العدول عن رأيه، وأن يشاور جميع الأحزاب، والهيئات، والمنظمات. ونتيجة لرفض الأحزاب السابق، تشكلت جبهة معارضة تحت اسم «الجبهة العربية العليا» ضمت في قيادتها إميل توما، وحمدي الحسيني. وقد أصدرت هذه الجبهة بيانا عقب تشكيلها تم نشره في جريدة «فلسطين»، في ٥/ ٦/ ١٩٤٦، مفاده توحيد الجهود الوطنية حتى تكون مؤثرة، وفاعلة، وانتداب الأستاذ موسى العلمي لتمثيل فلسطين في المؤتمر التحضيري لتأسيس جامعة الدول العربية، كما عمل صاحب الدولة «السيد توفيق السويدي» على توحيد الكلمة، وتأليف جبهة وطنية عليا، رحبت بها الأحزاب الخمسة، فيما عدا «الحزب العربي»، حيث رأى أعضاؤه أن تكون لهم أكثرية، ونتيجة للخلافات غادر السيد السويدي فلسطين دون أن تتألف الجبهة الموحدة المرجوة.

حضر إلى فلسطين السيد جميل مردم بك، رئيس الدورة الثانية للجامعة العربية، وطلب منه رؤساء الأحزاب تأليف لجنة عربية عليا بها عضوان محايدان، فاختار موسى العلمي، وأحمد حلمي باشا، على أن يكون للجنة حق الإشراف على مكاتب الدعاية العربية، ومشاريع إنقاذ الأراضي، لتوحيد سياسة البلاد، خاصة وأن هناك غموضًا أثناء تأسيس مكاتب الدعاية. ولكن هذه اللجنة باءت بالفشل.

وضع رؤساء الأحزاب الخمسة أملا كبيرا، وكذا باقي الأمة، في عودة جمال الحسيني، على أن يعاونهم في توحيد الجهود، ومعالجة اللجنة العربية، ولكنه أرجأ هذا الأمر حتى تأتي لجنة التحقيق الأنجلو ـ أمريكية إلى البلاد، وأصر على اتصالهم بها. كما عمل على تعديل «اللجنة العربية العليا»، وفقا لرؤيته، مما أدى إلى نشوء اختلاف على طريقته هذه. فضلا على ترأسه وفدا ليسافر إلى مصر لتمثيل اللجنة في الدورة الثالثة لمجلس الجامعة العربية، وهنا قرر زعماء الأحزاب الخمسة عدم دستورية تصرفه، وانتدبوا وفدا آخر ليسافر إلى مصر.

نتيجة لكثرة الخلافات، والتي حاول جميل مردم بك حلها، ولم يتمكن، قرر مجلس الجامعة حل «الجبهة العربية العليا»، و«اللجنة العربية العليا» وانتخاب جبهة تمثل فلسطين باسم «الهيئة العربية العليا»، على أن يترأسها الحاج أمين الحسيني، المقيم في مصر.

أوصت اللجنة الأنجلو ـ أمريكية للتحقيق بإدخال مائة ألف يهودي، حالًا، وإلغاء القيود على انتقال الأراضي إليهم، وتسهيل الهجرة، وفرض وصاية أنجلو ـ أمريكية مشتركة، والتحول فيما بعد إلى إقامة دولة ثنائية القومية، وهو ما رفضه العرب، كما رفضه اليهود، لرغبتهم في إقامة دولتهم على كل أرض فلسطين.

حدث تضارب في الآراء داخل الحركة الوطنية الفلسطينية، وهل يتم حصر القضية بين الفلسطينيين والإنجليز، أم يتم إدخال الأمريكان. فضلا على تضارب الآراء بخصوص عرض القضية على الأمم المتحدة، ومجلس الأمن. وكان البديري ضمن من دعوا إلى عرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وإخراجها من طوق أمريكا. وبريطانيا، وقد أرسل البديري برقية إلى الحكومات العربية بهذا الخصوص تم نشرها في جريدة «فلسطين» في ٢٣/ ٥/ ١٩٤٦، يحذر فيها الدول العربية من الإنجليز، والأمريكان، والصهاينة، وجعلهم فريقًا واحدًا، يقابله العرب كفريق، وصولا إلى الحرية والاستقلال. وقد ردت العراق بأنها تتفق معه، تمامًا، في ذلك.

كما كتب البديري، أيضًا، عدة مقالات نشرت في جريدة «فلسطين»، ومجلة «الغد»، داعيًا إلى عرض القضية الفلسطينية على هيئة الأمم، ومجلس الأمن، للاستفادة من تنافس الدول الكبرى، والدول المحايدة.

أوضح «البديري» في مقاله المنشور في جريدة «فلسطين» بتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٩٤٦ بعنوان «هيئة الأمم المتحدة ـ سننتصر إذا عرضنا عليها قضية فلسطين العربية»، بأن الاستعمار يستخدم سياسة المماطلة، كما أنه يقول شيئًا، ويفعل شيئًا آخر، وأننا والاستعمار على طرفي نقيض، لا يمكننا مصادقته، ولا يمكنه حل قضيتنا؛ لأن ذلك يعني أن يقوم بتصفية نفسه. أردف «البديري»: إن التخوف من عرض القضية الفلسطينية على هيئة الأمم لا أساس له؛ لأنه إما أن يكون القرار بالوصاية، أو الاستقلال. والوصاية تعني خلع نير الاستعمار، ومنع الهجرة. وإننا على أي الحالات، سواء تم عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة، أو مجلس الأمن، فإننا سنحصل على أكثرية في الأصوات.

في مقال آخر بعنوان «حول مقررات بلودان، لماذا نفاوض بريطانيا بعد أن خبرناها؟» والذي نشر في الجريدة نفسها (فلسطين) بتاريخ ١٦/ ٦/ ١٩٤٦ كتب البديري مؤكدًا بأن مفاوضة بريطانيا تعني التسليم بأن لها الحق في البلاد، كما تدلل، أيضًا، تلك المفاوضات على ثقة الجامعة العربية في بريطانيا، بالرغم من مواقفها السابقة، والتي لا تراعي فيها قرارات الجامعة. ومن جهة أخرى، تعني المفاوضات تسليما بالوضع الحاضر، مما يعني استمرار الهجرة، وبيع الأراضي لليهود، واستمرار الاستعمار والحكم الأجنبي للبلاد[١١].

كما كتب البديري، في الجريدة ذاتها، بتاريخ ٣/ ٨/ ١٩٤٦ مقالًا بعنوان «على هامش مشروع التقسيم، كفانا انخداعًا»، منوها بأن سياسة الاستعمار المماطلة إنما هي لتحقيق أغراض الاستعمار، فكلما طلب العرب تفاوضا مع بريطانيا، ترد هي إما بأعداد من المهاجرين اليهود إلى فلسطين، أو بالتقسيم، الذي أعلن البريطانيون أنه مشروع أمريكي، لا علاقة لهم به، ويرفضونه، أيضًا. واتضح فيما بعد أنه مشروع بريطاني، كذلك الحال في هجرة الأمريكان. فكل هذه ألاعيب يحاول الاستعمار بها كسب الوقت، وتنفيذ سياساته.

في مقال «من تفاوضون؟ وفيم تفاوضون؟» والمنشور بتاريخ ١٧ أغسطس/ آب ١٩٤٦ في جريدة «فلسطين» كتب صاحبنا: إن المفاوضة لعبة استعمارية مكشوفة، وإننا بها نعطي لبريطانيا صفة المشروعية، فهل نحن نقوم بذلك؟ وهل ذلك في مصلحتنا؟!

«والآن ماذا نحن فاعلون»، مقال جديد كتبه البديري في ٢٢ فبراير/ شباط ١٩٤٧ متسائلًا عما يجب علينا فعله، بعد وصول مؤتمر لندن إلى نتيجته المحتومة، والمتوقعة. فبريطانيا تلبس ثوب النزاهة المزيف، محاولة أن تظهر بصورة محايدة أمام العرب، والحقيقة أنها والصهيونية وجهان لورقة واحدة، ومصلحتهما واحدة. ولأن بريطانيا خصم في القضية، فهل يجوز لها أن تقوم بعرضها؟!، وهل ستقدم نفسها على أنها خصم؟! بطبيعة الحال سيكون عرض بريطانيا للقضية مختلفًا عن عرضنا لها. وأنه، نظرًا لإستيراتيجية موقع الدول العربية، وأثره في السلامة الدولية، فهي مركز قوة عظيمة، إذا جدت في طلب حق مشروع، تقره المبادئ الأساسية لمنظمات الدول. لذلك علينا الاعتراض على المناورات، والمفاوضات من جهة، والمبادرة بعرض القضية من جهة أخرى[١٢].

كان للمقالات السابقة كبير الأثر، حيث جاءت ردود الأفعال واضحة، ومؤيدة لها، متمثلة في صورة عدة برقيات تم نشرها في جريدة «فلسطين»، ومجلة «الغد» موقعة بأسماء الكثير من الأفراد، والجمعيات، في سائر الأراضي الفلسطينية. ومن بغداد، أيضًا، مثل لجنة الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين (بغداد)، جمعية العمال العربية (بيت جالا)، اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب (القدس).

عرضت بريطانيا قضية فلسطين على هيئة الأمم، في أبريل/ نيسان سنة ١٩٤٧، التي قررت بدورها إرسال القضية إلى لجنة تحقيق، بها دول محايدة، ورفضتها «الهيئة العربية العليا»، والتزم الجميع بقرار «الهيئة العربية العليا»، حتى من لا يقبلونه، حفاظًا على وحدة الصف، ومنهم البديري، وقاموا باتصالات سرية مع هذه الدول المحايدة، وشرح القضية، وفي النهاية جاء قرار الأمم المتحدة بإنهاء الانتداب وجلاء الإنجليز، وتقسيم فلسطين، في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧. وكان لقرار التقسيم أثره الصادم لكل من نادى بعرض القضية على هيئة الأمم، ومنهم «البديري». ولا يعفى من المسؤولية فيما حدث القيادة الفلسطينية، والحكومات العربية، لعدم قيامها بعرض القضية بنفسها بشكل صحيح وتركها لبريطانيا، التي عرضتها على أنها نزاع بين طرفين متساويين في الحقوق. لا نزاع بين شعب صاحب حق، واقع تحت احتلال غاشم، وبين ذلك المحتل.

يذكر أن البديري وراسم الخالدي كانا من بين أعضاء الوفد المنتدب من «الهيئة العربية العليا» لتمثيل فلسطين في هيئة الأمم، ولكن السفارة الأمريكية في القاهرة، والقنصلية في القدس لم تمنحهما تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة بالرغم من مراجعة الأمين العام للجامعة العربية، عبد الرحمن عزام باشا. وقد رفض العرب جميعًا، والفلسطينيون

منهم خاصة، قرار التقسيم، ومع ذلك لم يحاولوا الاحتشاد لمنعْ تنفيذه، وقد استشهد في محاولة لمنع تنفيذ القرار بعض الباسلين، وعلى رأسهم عبد القادر الحسيني.

نتج عن التقسيم تشريد المواطنين الفلسطينيين، وعدم إقامة الدولة الفلسطينية، وكانت الحلول تتمثل في: إما توطينهم في سيناء، أو الدول العربية التي لجأوا إليها، أو غور الأردن، ولكن تمسك هؤلاء المواطنون بحقهم في العودة. وقاد المقاومة ضد التوطين في سيناء الشيوعيون في قطاع غزة، ثم برزت «فتح» إلى الوجود، وكذلك اليساريون، ومن تبقى من «عصبة التحرر الوطني»، وجرت اعتقالات عديدة من قبل الصهاينة، والأردن، والسلطات المصرية في غزة، وكان البديري ضمن المعتقلين في ١٩٤٨ في غزة أيام الحكم المصري العسكري مع آخرين. وفي طريق عودته من مصر إلى القدس، مرورًا بعمان كاد يعتقل للمرة الثانية، لولا تعهد بعض الأصدقاء بعدم مكوثه في عمان[١٣].

في أواخر ١٩٤٨، بدأ التحرك لضم الصفة الغربية إلى الأردن، تحت حكم الملك عبد الله، الذي تلاقت مطامعه مع مصلحة بريطانيا، تمهيدا لإقامة «سوريا الكبرى»، وتوالت المؤتمرات بهذا الخصوص، منها مؤتمر عمان، في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٨. لقد كان هناك مؤتمران آخران، بعد مؤتمر أريحا، في رام الله، ونابلس، هدفهما تكريس مقررات «مؤتمر أريحا»، وتأييدها، ورحبت بذلك طبعا الحكومة الأردنية. وقد جرت تعديلات في الحكومة الأردنية، وأصبح عدد الفلسطينيين فيها خمسة.

في ١٩٥٠، أجريت انتخابات لتشكيل مجلس أمة موحد، عملت الحكومة الأردنية على إنجاح من رشحتهم، مما أدى إلى الاعتراض على الانتخابات، ومقاطعتها، وكان على رأس المعترضين، «بقايا عصبة التحرر الوطني»؛ لافتناعهم بأن ذلك سيضر بالقضية الفلسطينية، وتوالت المظاهرات بعد ذلك، وتم اعتقال المحرضين عليها. وأصدرت بريطانيا، والولايات المتحدة، وفرنسا، في مايو/ آيار ١٩٥٠ بيانًا ثلاثيًّا مشتركًا يحذر العرب من محاولة استرداد حقوقهم، وتحرير وطنهم!

منذ أواخر عام ١٩٤٦، وحتى منتصف ١٩٤٨ ظل البديري متنقلًا ما بين القدس، وغزة، والقاهرة، يجري مشاورات مع «الهيئة العربية العليا»، واضطر إلى تسكين أسرته في الإسكندرية، نتيجة لما تعرض له أعضاؤها من أعمال وحشية من قبل الصهاينة. وكان قد اتصل به الطبيب الإنجليزي المسؤول عن مستشفى العيون ليواصل العمل فيها ثانية، وقد كان حتى عام ١٩٧٠، حيث اعتزل البديري العمل.

في يوليو/ تموز ١٩٥١، اغتيل الملك عبد الله في القدس، ويرى البديري أنه إن لم يكن الاغتيال بتدبير بريطانيا، فإنه، على الأقل، بالتواطؤ معها، نتيجة لتعارض مصالحهما في ذلك الوقت، حيث انتوى الملك عبد الله عقد صلح مع إسرائيل، وهو ما لا تريده بريطانيا، واعترض البديري على عملية الاغتيال، وأعلن نبذه للإرهاب، ذلك أن مقتل شخص، أو أشخاص، لا يغير النظام.

في مجال استخلاص الدروس والخبرات، يرى البديري أننا أخطأنا في قبول التقسيم للبلاد العربية، وفي ترك بريطانيا تعرض قضية فلسطين، وتصديق وعود الإنجليز والأمريكان، فيما لم يكن أمامنا إلا أحد ثلاث طرق: إما التعامل معهم وكأنه لا يوجد في الميدان غيرنا وهم، والعمل على إبادتهم كلية، وهو غير ممكن الحدوث. أو قبول المساومات، وهذا طريق الخضوع والاستسلام، وأخيرًا لا يبقى أمامنا سوى طريق النضال، والسعي من أجل تحقيق الوحدة، وهذا الحل ليس سهلًا، وممكن التحقيق في يوم وليلة. بل يحتاج إلى نضال شاق، لمقاومة الاستعمار، ودحره.

فضلًا على مكافحة الأنظمة العربية المرتبطة بالاستعمار. ويجب أن يتم ذلك ضمن إطار الاشتراكية، فهي أقصر الطرق، وأسرعها للحاق بالعالم المتقدم، وتحقيق الرخاء. وعليه يجب وضع ميثاق وطني يقوم على أساس مقاطعة الاحتلال ومشاريعه مقاطعة تامة، ومقاومة أي إجراءات تمكنه من بسط سيطرته؛ لذلك علينا القيام بفتح مدارس، وتنشئة أولادنا تنشئة وطنية.

توالت الأحداث الجسام على الوطن العربي، إلى أن كانت هزيمة ١٩٦٧العربية المدوية، جاءت فكرة الكيان الفلسطيني نوعا من الحكم الذاتي، تحت سيادة إسرائيلية، والتي لاقت رفضا قاطعا، وكانت إسرائيل تحاول فرضه بموجب اتفاقيات كامب ديفيد، وأعد البديري مذكرة لعرضها على «اللجنة العليا للتوجيه الوطني» تحت عنوان «لا احتلال، ولا انفصال» مؤكدًا من خلالها، هو ومن وقّع معه، على التمسك بالوحدة بين الضفتين، ومقاومة الاحتلال، وجلاء العدو من سائر الأراضي العربية، وحق العودة. مردفا بأن ثمة حركتين تتصارعان، إحداهما تطلب تحرير الشعوب، والأخرى تريد أن يبقى الوضع على ما هو عليه. وطلب «البديري» من الأردن إعادة النظر في موقفه، والتأكيد على وجوب جمع القوى المعادية للاستعمار، وتوحيدها، وتشكيل حكومة ائتلاف وطني، تضم العناصر الواعية، وتطهير الجهاز الحكومي من الفساد، وإحباط أي مناورات من شأنها عرقلة المسيرة. بالإضافة إلى توطيد التعاون العربي، وتعزيز علاقات الصداقة مع من ثبت وفاؤهم، وعلى رأسهم الاتحاد السوفييتي، والدول الاشتراكية، وإقامة علاقات مع الصين الشعبية، فضلا على بناء قواتنا العسكرية، وتسليحها على أعلى المستويات، وتطوير اقتصادنا الوطني.

وجه البديري كتابًا بالإنجليزية إلى وزير الخارجية البريطاني «جورج براون» أثناء زيارته للقدس، في ٢٣ يناير/ كانون الثاني سنة ١٩٧٠، تم نشره في جريدة «القدس» المقدسية، جاء فيه: إننا نتحيز للحق والسلام، وإننا ضحايا السياسة الغاشمة البريطانية، التي أرست قواعد دولة إسرائيل في بلادنا، نظرًا لكل ما ألم بنا، فنحن نعتبر السياسة البريطانية هي عدونا الأول، وردًا على قولك إن الزمن لا يعمل لصالحنا، فهو يعمل لصالحنا بالفعل، فنحن نكافح من أجل قضية عادلة، وإننا نطالب بالجلاء المشروط.

وفي كتاب آخر إلى اللورد كارادون، ممثل بريطانيا في مجلس الأمن، في ١٩٦٧، وما تلاها، في أثناء زيارته، أيضًا، للقدس، في ١٣ فبراير/ شباط ١٩٧٣، طالبًا البديري منه أن يستمع إلى رأيه بمحمل حسن النية، دون نية لتجريح. حيث إنه قام بدور كبير في العدوان الغاشم، والتهجير طيلة سنوات قضاها في فلسطين. كما وجه إليه سؤالًا: فقد جاء لينقل رغبات الشعب إلى العالم، وبريطانيا، والولايات المتحدة. سائلًا إياه: ألا تعرف، طيلة سنوات قضيتها هنا، في فترة الانتداب، مطالب الشعب، وموقفه من «وعد بلفور»؟! مطالبا إياه وبلاده بوضع حد لهذه الفاجعة، والتي هم سببها. وتساءل البديري لماذا لا يستخدمون الأساليب ذاتها التي استخدموها مع الفلسطينيين، عندما قطعوا «وعد بلفور»، لتنفيذ قرار مجلس الأمن؟!

بعد ستة أشهر، قدم إلى القدس د. كورت فالدهايم، السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة، لتقصي الحقائق، فنشر «البديري» كتابًا مفتوحا ثالثًا في «جريدة القدس» بتاريخ ٣٠ أغسطس/ آب ١٩٧٣، جاء فيه أنه لا فائدة مرجوة من هيئة الأمم. فما يحدث في العالم، تحت مرأى ومسمع منها وهي لا تبدي حراكًا، بل أكثر من ذلك، فهي التي أوجدت إسرائيل. وأكد في النهاية على رفض تسوية أساسها الإبقاء على إسرائيل كما هي. فقد تعلم العرب بأن الحقوق تؤخذ، لا تُعطى، وتنتزع ولا تُستجدَى، وأن مفتاح حل الأزمة في أيدي العرب، أنفسهم، خاصةً عرب فلسطين.

في أكتوبر/ تشرين الأول، حدثت المعجزة التي هزت إسرائيل، وتفوق الجيشان المصري والسوري على الصهاينة، بإمكانياتهم، ولكن توقفت مصر عن مطاردة العدو فجأة، وبدأت المكيدة لتفرقة العرب، وشق صفهم. وانعقد بعد ذلك مؤتمر القمة العربي في الجزائر، مقرًّا، بالإجماع، الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلًا وحيدًا للشعب الفلسطيني، وأصدر البديري بيانًا، منع من النشر رقابيًّا، في جريدة «الشعب» المقدسية، بعنوان «البيان والشعب» وكان البديري قد عرض أمر البيان على الشخصيات الفلسطينية في الضفة، لكنه لم يلق استجابة. وكان «البديري» يرى التوجه إلى منظمة التحرير، مطالبا تمثيلها للشعب في أية مفاوضات، وإقامة دولة فلسطينية ذات سيادة، وحكومة في الجزء المتحرر من الأرض، كخطوة، ولا تكون لها علاقة بإسرائيل، أو جسرا بينها وبين الدول العربية.

أعاد صاحبنا الكتابة في ١٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٣، فيما يخص المؤتمر المزمع عقده في جنيف للسلام، بعنوان «دورنا بإزاء التطورات الأخيرة» وتساءل: هل يشترك العرب أم يمتنعوا عن هذا المؤتمر؟، مع التأكيد على أن مصير أي قطر عربي مرتبط بمصير باقي الأقطار العربية الأخرى، ومن هنا لا يصح لأي قطر الانفراد بتقرير مصيره، أو مصير أي قطر، دون التشاور مع باقي الأقطار.

وجه البديري الكتاب المفتوح إلى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، بتاريخ ١٦ يونيو/ حزيران ١٩٧٤، لفت نظر نيكسون إلى مبادئ لحل المشكلة، حلًا عادلًا، وهي ألا تكون المنطقة العربية منطقة نفوذ لأحد غيرها، وأن الشعوب هي صاحبة الحل والربط، وأنها تصر على أن تكون سيدة نفسها. كما أن المنطقة من المحيط إلى الأطلسي غربًا، إلى الخليج العربي شرقًا، عربية خالصة، وأن الشعوب العربية لا يمكن المقايضة عليها، ففلسطين عربية، وجزء لا يتجزأ من الوطن العربي.

نشر البديري في جريدة «القدس» مقالًا بتاريخ ١٣ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٤، بعنوان «نحن الآن أقوى فلنحذر ضياع قضيتنا»، وفيها علق على محاضرة للأستاذ أنور نسيبة، وأكد البديري بأن الاتفاقات والمواثيق الدولية لا تلزم إلا الأطراف المتعاقدة، أو الدول التي تنضم إليها فيما بعد، وعليه فإن «وعد بلفور» يعد باطلًا، وكذلك الانتداب، فليست فلسطين طرفًا فيهما، بل إنها قد استنكرتهما أيضًا، وبالمثل قرار التقسيم، وقرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢). كما اختلف البديري مع نسيبة في أننا الآن في موقف ضعف بعد حرب ١٩٦٧، ولا يمكننا الحديث عن حل نهائي للمشكلة، فنحن، الآن، في موقف قوة.

كتب البديري مقالًا آخر لفضح مؤامرات وزير خارجية الولايات المتحدة كسينجر، وكيفية إحباطها، في ٢٥ مارس/ آذار ١٩٧٥، حيث قال: إن علينا تدارس الأمر، قبل الذهاب إلى جنيف. فهناك مبادئ أساسية، يجب العمل على تحقيقها، وهي الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وإقامة دولته المستقلة، والانسحاب الفعلي، والفوري، من جميع الأراضي العربية، خاصة القدس، وغزة، وهضبة الجولان، وسيناء. وسبيلنا لتحقيق ذلك وضع الولايات المتحدة في خيار بين دعمها لإسرائيل، ومصالحها في العالم العربي كله كوسيلة للضغط عليها. وهناك وسائل للضغط على الولايات المتحدة منها قطع البترول، وعدم استثمار أو توظيف الأموال العربية في الولايات المتحدة، فضلًا على مقاطعة بضائعها، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها.

في يونيو/ حزيران ١٩٧٥ أجرى لويس مارتون صاحب مجلة «إسرائيل ـ فلسطين» حديثًا مع البديري لمعرفة

رأيه في الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وطرق حله، وفيه شدد البديري على أن الحل يتم على ثلاث مراحل: **الأولى**: انسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل ٥ يونيو/ حزيران ١٩٦٧، وإقامة اتحاد فيدرالي يضم فلسطين، والأردن، وسوريا. **الثانية**: الانسحاب إلى حدود ١٩٤٧، والاعتراف بالشعب الفلسطيني، وحق اللاجئين في العودة، فضلًا على إقامة اتحاد يضم، بالإضافة إلى السابق، لبنان، والعراق، ومصر، وليبيا، والجزائر، واعتراف إسرائيل بإقامة حد أدنى من العلاقات. **وأخيرًا المرحلة الثالثة**: وفيها تتخلى إسرائيل عن الصهيونية، والعنصرية، مع دمجها في اتحاد شرق أوسطي عربي كعضو متساو في الحقوق والواجبات.

كما كتب البديري عارضًا المبادئ الأساسية لحل القضية في جريدة «القدس» في ٤ فبراير/ شباط ١٩٧٧، وهي ما ذكره مسبقًا، وزاد على أن الوسيلة لتحقيق ذلك هو تأكيد منظمة التحرير الفلسطينية على حقها، التي حاول الكثيرون طمسها، وأن تقوم المنظمة بالتنسيق مع الدول العربية المشتركة في مؤتمر جنيف، ورفض أية تسوية منفردة، وتعبئة طاقات الشعوب العربية لدعم الجبهه ومساندتها، فضلًا على القيام بحملة مكثفة لكسب تأييد القوى المحبة للحرية والسلام، في العالم أجمع.

جاء موعد زيارة الرئيس السادات البائسة للقدس، وكتب البديري معلقًا عليها بعنوان «مبادرة سلام أم مبادرة استسلام؟» في «القدس» في ١٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧ (يوم الزيارة نفسه)، وفيها استغرب قبول السادات هذه الزيارة تحت نير احتلال، وفي حراسته، أيضًا، خاصة بعد إعلان مناحم بيجن رفض التنازل عن أي جزء من أرض فلسطين المحتلة، واعتبارها «أرضًا إسرائيلية محررة»!، كما أكد البديري على المبادئ نفسها مرة أخيرة، لكي يدرك السادات عدم التنازل عنها. علق صاحبنا على خطاب السادات، وبيجن، قائلًا: إن مجيء السادات هو تنازل، وخروج على الإجماع العربي، وإن خطابه جاء مخيبًا للآمال، وكان خاليًا من المبادئ الأساسية، ومنها رفض الاستيلاء على أي أراض بالقوة، أو بغير القوة، وعدم تحديد الممثل الشرعي للفلسطينيين، «منظمة التحرير». وبتاريخ ١٤ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٧، كتب البديري مقالًا آخر، بعنوان «والآن ماذا؟» وفيها تساءل ماذا يمكن أن نفعل؟، ورأى بأن الحل هو عدم الاستسلام، وتوطيد أواصر الوحدة الوطنية، ناهيك عن سياسة الضغط على الولايات المتحدة. «فهذا هو البديل لاسترداد حقوقنا وكرامتنا».

رأى البعض بأن الحركة الفلسطينية دائمة الرفض لكل الحلول التي تعرض عليها، وكتب البديري موضحًا حقيقة الأمر، في ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨، في جريدة «القدس»، حيث إن الرفض كان لعدم ملاءمة الحلول، وتحيزها لجانب إسرائيل، وأن أي تعديل فيها من قبل الحركة الفلسطينية كان يقابل بالرفض.

ألقى البديري محاضرة في «نادي الخريجين العرب»، بعد عقد «اتفاقية كامب ديفيد» محللًا إياها، في ١٩ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨، ساردا لحقوق الشعب الفلسطيني، والعربي، وحقه في رفض كل ما يتعارض مع حقوقه، ثم بدأ يحلل اتفاقية كامب ديفيد الأولى المسماة «إطار للسلام في الشرق الأوسط» وهي لا تعترف بالشعب العربي الفلسطيني كله، كوحدة، وتحاول شق صفوفه، وتشريده أبناء الشعب الفلسطيني في أرجاء العالم، وتقصر حقه على الإدارة الذاتية، وعدم الاعتراف بالممثل الشرعي له، وإغفال موضوع القدس. وفرض إطار للمحادثات في ظل ما سبق[١٤].

أما اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل (سبتمبر/ أيلول ١٩٧٨)، فهي تسمح باحتلال بعض أجزاء مصر ثلاث سنين بعد المعاهدة، وتنتقص من سيادة مصر، وتفرض عليها الاعتراف بإسرائيل، فضلًا على أنها تفرض على

مصر نزع السلاح من أجزاء كبيرة من سيناء، وتعزل مصر عن العالم العربي، كما تضعف مصر في مواجهة إسرائيل، وأخيرًا فهي تشكل طعنة في قلب القضية الفلسطينية، والقضايا العربية. والحل في هذا الوضع هو عدم الاستسلام، وإعادة وحدة الصف العربي، والهدف العربي، أيضًا، واستخدام وسائل الضغط التي في أيدي العرب.

كما علق البديري على إبرام المعاهدة المصرية الإسرائيلية، الموقعة في ربيع ١٩٧٩. فكتب صاحبنا في جريدة «القدس» بتاريخ ١ أبريل/ نيسان ١٩٧٩ مقالًا بعنوان «لا عذر بعد اليوم»، مسلمًا لقد وقع المحظور، وسددت الطعنة الغادرة إلى قلب الأمة العربية، دون جدوى من التحذيرات، أو الدعوات إلى التعقل والتبصر، حرصًا على وحدة الصف العربي. فالعرب جميعا يرون في هذه الاتفاقية خيانة للأمة العربية، ومؤامرة عليها. ويرى البديري بأنها بفعل الطرف الأمريكي، العدو الأساسي، مؤكدا على أنه يحق لكل أمة عزل ومقاطعة كل من يخرج على إجماعها، ويشق وحدتها، أو يخونها. فنحن لسنا ضعفاء، بل نحن الأقوى، حيث إننا على حق، وهم على باطل، كما أننا نملك أموالًا وطاقة تمدنا بأسباب القوة، فضلًا على اتساع رقعة بلادنا، وازدياد عزلة أعدائنا. ويجب أن يرتقي العرب إلى مستوى المسؤولية، موقعين عقوبات على الخارجين عليهم، ومدبري هذه المؤامرة، وقد سبق عرض وسائل الضغط التي يمكن توقيعها على الولايات المتحدة بهذا الشأن.

في حفل تكريمي، بمناسبة مرور خمسين عامًا على تخرج أطباء القدس، ألقى البديري كلمة عن رأيه في الطب، رابطًا بين مهنة الطب، وبين التمسك بالوطن، «فلا يمكن توفير حياة كريمة صحية للإنسان دون توفير الاستقلال، والسيادة. لذلك يجب أن يؤمن للطبيب مستوى عال للمعيشة، يعصمه من الاتجار بمهنته، ويمكنه، أيضًا، من تقديم الخدمات المجانية».

وجه البديري كلمة في جريدة «القدس»، بتاريخ ٢١ يوليو/ تموز ١٩٧٩، بعنوان «الأرض.. الأرض» بمناسبة عقد مؤتمر التنمية في القدس، قائلًا: إن مشكلتنا الحقيقية هي: إما أن نكون أو لا نكون؛ لذا علينا تكريس جهودنا للتشبث بالأرض، والحيلولة دون انتزاعها، وعدم النزوح عن الوطن.

في أوائل عام ١٩٨٠، وبمناسبة بحث الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قضية فلسطين، وتوصيات «لجنة العشرين»، كتب البديري «فذكّرْ إن نفعت الذكرى»، مؤكدًا على ما سبق، وكتب عدة مرات برفض المساومات، والشروط التي ينبغي أن نصر عليها، حتى نحقق طموحاتنا الوطنية.

في مؤتمر وزراء الخارجية العرب، الذي تم عقده في عمان، في صيف ١٩٨٠، تمهيدًا لمؤتمر القمة، كتب صاحبنا بخصوص فتح الجسور أو إغلاقها: «وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم»، ويقصد به فتح الحدود بين الضفة الغربية المحتلة، وقطاع غزة من جهة، وبين الأردن وبقية الدول العربية من جهه أخرى. حيث يرى البديري هنا بأن إغلاق الجسور يؤدي إلى زيادة النقمة على الاحتلال، وتصعيد المقاومة، ويقلل الهجرة من البلاد، أما فتح الحدود فسيؤدي إلى زيادة الهجرة، و«التطبيع» مع الاحتلال، فضلا على تعزيز الاقتصاد الإسرائيلي، وانتعاشه.

تم قصف المفاعل النووي العراقي، صيف عام ١٩٨١، في يونيو/ حزيران، وبهذه المناسبة كتب البديري في ١٠ يونيو/ حزيران ١٩٨١: «رب ضارة نافعة» في جريدة «القدس»، أيضًا، ذاكرًا عدد المرات التي صدم فيها العرب،

من جراء أفعال أعدائهم، في حرب ١٩٥٦ في قناة السويس، ثم في يونيو/ حزيران ١٩٦٧، وثالثة في رمضان ١٩٧٣، وتحول الهزيمة إلى نصر، منتهيًا باتفاقية كامب ديفيد، وأخيرًا ضرب المفاعل النووي العراقي، ولعل في ذلك خيرًا في إفاقة العرب، وتفتيح أعينهم على ما يبيت لهم. وفي حينه أشار البديري إلى ضرورة وقف الحرب الإيرانية ـ العراقية، حيث إن المستفيد الوحيد منها هو الأعداء.

ينتهي صاحبنا إلى القطع بأن الخطأ الأساسي كان هو تجزئة الوطن العربي، وانفراد كل دولة في الدفاع عن نفسها، متناسية باقي الدول الشقيقة، فضلًا على عدم الاهتمام بالأصل، مع التركيز على الفرع، فالأصل في العداء هو الإنجليز، والأمريكان، والفرع هو الصهيونية، والتي تم زرعها في قلب الوطن العربي، كشوكة وعامل مساعد، ويد لذلك العدو، وحرص العرب لحل مشاكلهم كل على حدة، متوهمين أن بإمكانهم الاستفادة من الولايات المتحدة، أو إنجلترا، كل على حساب الأخرى، ناسين بأنهم وجهان لعملة واحدة، يختلفان، وسرعان ما يتحدان، إذا ما هبت ثورة حقيقية، لإخمادها؛ لأن في ذلك صالحهما. وتعامل العرب معهم بحسن نية، وكان الضروري، والصحيح مقاطعتهم، وعدم التعامل معهم، وغلق أسواقنا في وجوههم.

أما آن الوقت لأن يفيق العرب، ويستيقظوا، ويدركوا بأنهم منذ الأزل أمة واحدة غير مفتتة، وأن هذا التفتت إنما هو من صنع الاستعمار؛ لأن فيه مصلحته؟!

أما آن الأوان لأن يدرك زعماء العرب المخاطر المحيطة بأمتهم، وأن الحرص على الوطن أهم من الحرص على الكرسي، وأن المصلحة الخاصة لهم ترتبط بالمصالح العامة لشعوبهم؟!

أما آن الأوان لإدراك أن ما وصلنا إليه من تفكك هو لإضعافنا حتى لا نكون قوة في وجه أعدائنا، يفعلون بنا ما يشاءون؟!، قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، فأين نحن من هذا الاعتصام؟!

* * *

هوامش الفصل الثالث:

(١) الحرب العالمية الأولى تسمى الحرب العظمى، أو الحرب التي أنهت جميع الحروب، وقد قامت في أوروبا ثم امتدت لباقي دول العالم خلال أعوام ١٩١٤: ١٩١٨ .

(٢) عبد القادر ياسين، **الحركة الوطنية الفلسطينية/ المحطات الرئيسية/ الدروس المستفادة**، القاهرة، دار الحكمة، ط١، ص٧، ص٨، ٢٠٠٠.
ـ هنري كتن، **القدس**، ط ١، دار كنعان للنشر، دمشق،١٩٩٧، ص ٢١ .

(٣) إميل توما، **جذور القضية الفلسطينية**، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، دار الجليل، ط٣، دمشق، ١٩٨٤، ص ٥٣ : ٦٥.
ـ نقولا الدر، **هكذا ضاعت وهكذا تعود/ دور النفط والمدفع في تحرير فلسطين**، بيروت، ط٢، ١٩٦٤، ص ١١ : ١٥.

(٤) اللجنة التنفيذية العربيه انبثقت عن المؤتمر الوطني الفلسطيني، الذي انعقد، دوريًا، مرة كل سنة، وقادت اللجنة الحركة الوطنية الفلسطينية على مدى العشرينيات.

(٥) الثورة السورية الكبرى، انطلقت في سوريا عام ١٩٢٥ ضد الاستعمار الفرنسي، أو ما يسمى، دوليا، بالانتداب الفرنسي، وهي أعظم الثورات، والتحركات الشعبية الثورية التي حدثت في تاريخ سوريا أثناء فترة الانتداب الفرنسي.

(٦) الثورة الريفية، بقيادة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وهي كفاح مسلح ضد فرنسا وإسبانيا بسبب احتلالهما للمغرب، وبدافع تحرير الشعوب الإسلامية من الاستعمار.

(٧) **هبّة البراق**: هي شرارة فجرتها تظاهرة استفزازية، قام بها بعض اليهود، قرب الحرم القدسي الشريف، مطالبين بالحائط، هاتفين «الحائط لنا»، وفي صلاة الجمعة التالي تحولت الصلاة إلى تظاهرة خرج فيها المصلون خوفًا على مقدساتهم، وفي الجمعة التالية، كان المولد النبوي، فخرج المصلون مسلحين بالعصي والسكاكين، واشتبكوا مع جمهرة من اليهود، فتدخلت القوات البريطانية لفضها، مستخدمة المصفحات، والطائرات، ثم امتدت المظاهرة لتشمل كافة المدن الفلسطينية، وكانت الهبة بمثابة الثورة الفلسطينية الأولى.
ـ كامل خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩**، ط٢، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الليبية الشعبية الاشتراكية ص ٣١٤، ٣١٥.
ـ عادل حسن غنيم، **الحركة الوطنية الفلسطينية**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

(٨) عز الدين القسام، باعث شرارة الثورة الفلسطينية، ولد في جبلة سوريا، سنة ١٨٧١، شارك في الثورات ضد الفرنسيين، فحكم عليه الديوان السوري بالإعدام، فأفلت منه إلى فلسطين، واستقر بحيفا، وكان إمامًا وخطيبًا ومأذونا، ومن خلال عمله، أخذ يحث الناس على الجهاد، حتى استشهد على أيدي قوات الانتداب، بعد حصاره رافضًا الاستسلام، داعيًا إلى الشهادة في سبيل الأرض.
عبد القادر ياسين، **كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨**، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث، بيروت، مايو/ آيار ١٩٧٥، ص١٤٨ : ١٥٩.

(٩) **المرجع نفسه**، ص ١٨ ، ١٩ .

(١٠) **المرجع نفسه**، ص ٢٠ .
ـ توما، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٧٧، ص ١٩٥.

(١١) مؤتمر بلودان الثاني (١٩٤٦): أعلنت بريطانيا استمرار الهجرة اليهودية رغم انتهاء المدة المحددة في الكتاب الأبيض، فاجتمع مجلس الجامعة العربية اجتماعًا استثنائيًا للنظر في تقرير لجنة التحقيق، والخطة العربية، إزاء الوضع الفلسطيني في مدينة بلودان، وكان الاجتماع على مستوى رؤساء حكومات، ووزراء خارجية، ودفاع لإسباغ مظهر القوة عليه، ومن أهم الشخصيات التي حضرت الاجتماع جمال الحسيني، أحمد الشقيري (فلسطين)، رياض الصلح، وصائب سلام، وحبيب أبو شهلة سعد الملة (لبنان)، سعدان الجابري، فارس الخوري، لطفي الحفار، جميل مردم بك (سورية)، حمدي الباجة جي (العراق)، محمود فهمي النقراشي، مكرم عبيد، محمد حسين هيكل، حافظ رمضان (مصر)، عبد الرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية، من رجال الإعلام محمد حسنين هيكل، مندوبًا عن «أخبار اليوم».
ـ الدر، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢١٢ : ٢١٦ .

(١٢) مؤتمر لندن(١٩٤٧): دعت بريطانيا العرب واليهود إليه لامتصاص غضب العرب، نتيجة السماح لليهود بالهجرة بعد مدة الكتاب الأبيض، وكان عبارة عن دورتين، الأولى لم توجه دعوة إلى الهيئة العربية العليا بفلسطين، وبالتالي لم تحضر، ولم تكن فلسطين ممثلة، وتم تقديم مشروعين أحدهما عربي، والآخر صهيوني، أما الدورة الثانية ففيها حضر وفد من الهيئة العربية العليا، فيما رفض اليهود المشاركة، وفيها رفضت بريطانيا المشروعين العربي، والصهيوني، وقدمت ثالثًا عرف بمشروع بيفن، فرفضه العرب، وأحالت بريطانيا القضية إلى الأمم المتحدة.
ـ ياسين، الحركة الوطنية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢٧ .

(١٣) توما، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٩٧ : ٢١٥ .

(١٤) ياسين، الحركة... **مرجع سبق ذكره**، ص ٦٥ : ٦٨.

ملاحظة: المعلومات الواردة في هذه الدراسة تم الاعتماد بشكل أساسي في جمعها على كتاب الدكتور: خليل البديري، **ستة وستون عامًا مع الحركة الوطنية الفلسطينية، وفيها**، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٨٢.